حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٥ (عدد يناير – مارس ٢٠١٧)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

الصورة اللونية في مدائح أبي نواس / دراسة تحليلية

عيد حمد الخريشة*

جامعة البلقاء التطبيقية- كلية الزرقاء الجامعية - الأردن

المستخلص

يُعدُّ اللون عنصراً مهماً من عناصر البناء الفني للصورة الفنية، بما يحمله من سمات جمالية، ودلالات ذات علاقة بالرؤية الفنية، ففي معظم الأحيان، يكشف اللون عن إحساس الشاعر ومشاعره وأفكاره، ويجسد كلّ ذلك باللون، فإذا كان في حالة فرح وسرور يختار ألواناً معيّنة تدل على الفرح والسرور، أما إذا كان في حالة حزن واكتئاب يختار ألوانا تدل على الحزن والاكتئاب؛ ولهذا يُعدُّ اللون من العناصر التي يعتمد عليها الباحث في الكشف عن شخصية الشاعر ومزاجه وما يدور في ذهنه من أفكار. ويستطيع الشاعر عن طريق اللون أن يقيم علاقة بينه وبين القارئ، وذلك لأن هذه الألوان تحمل دلالات ورموز، وهذه الدلالات والرموز تختلف بين المجتمعات، وتختلف من مرحلة تاريخية إلى أخرى، وقد تكون هذه الدلالات فنيّة، أو دينيّة، أو نفسيّة، أو اجتماعيّة، أو رمزيّة. وحينما تظهر الألوان في النص الأدبي تبهر القارئ بجمالها وتأثيرها، ويبدأ القارئ بالبحث في دلالة اللون، ويفهم دلالة اللون من خلال السياق العام للنص الشعري؛ وعليه فإن السياق هو الذي يحدد وظيفته وفاعليته.

واختار الباحث هذا الموضوع؛ لأنّ الصورة الفنية هي إحدى دعائم بل أساس التجربة الشعرية، وللون الأثر البالغ في رسم الصورة الفنية، فالصورة اللونية هي من أرقى الصور في عالم الشعر. والتصوير اللوني، هو تصوير حسي، يعتمد على حاسة البصر، والصورة الحسية هي المصدر الأساسي للصورة الشعرية، ومن المتوقع ظهور اللون في عملية الأداء الفني؛ ليؤدي دوره في نقل المدلول التأثيري. ونلحظ من خلال التصوير باللون أنّ التصوير القرآني حافل بالتصوير اللوني.

وأما اقتصار الباحث على موضوع المديح في شعر الشاعر؛ فهذا يعود إلى أننا أمام شاعر من كبار شعراء العصر العباسي، وديوانه ضخم الحجم ومتنوع الأغراض؛ فلهذا اختار الباحث موضوع المديح فقط؛ لكي يكون الموضوع محدداً، ويتناسب مع حجم البحث.

الكلمات الدالة: الصورة، اللون، شعر، مدائح، أبو نواس.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

مشكلة البحث وأهدافه:

يهدف البحث إلى تحقيق ما يأتي:

١- موضوع اللون لم يدرس في شعر الشاعر.

٢- استقراء ألفاظ الألوان التي وردت في شعر المديح في ديوان الشاعر.

٣- الكشف عن دلالات اللون بأبعاده النفسية والاجتماعية.

٤- وظيفة اللون في توضيح المعنى في النص الشعري.

٥- بيان السمات الجمالية للون في النص الشعري.

المنهج:

أما المنهج الذي سيسير عليه الباحث في بحثه، فهو منهج التحليل والوصف في دراسة الألوان ودلالاتها وارتباطها بالنص والمعنى، والحالة النفسية للشاعر التي دفعته إلى اختيار اللون، ثمّ إحصاء الظواهر اللونية في شعره. والديوان الذي اعتمده الباحث في بحثه، هو(ديوان أبي نواس، حققه، وضبطه، وشرحه، أحمد عبد المجيد الغزالي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت)

الكلمات الدالة: الصورة، اللون، شعر، مدائح، أبو نواس.

المقدمة:

اللون لغة كما عرفه ابن منظور في لسان العرب على النحو الآتي:"اللون هيئة كالسواد والحمرة ولون كل شيء أيضا ما فصل بينه وبين غيره والجمع ألوان"(ابن منظور، الدار المصرية للتأليف والنشر، د.ت)وورد في قوله تعالى:" وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إنّ في ذلك لأية لقوم يذكرون"(النحل ١٣) أما من الناحية الاصطلاحية فيعني في الدراسات الحديثة،أنّه" الانطباع الذي يولده النور على العين؛ أي النور الذي يتم نشره وتوزيعه"(حيدر،١٩٨٤م) فاللون هو " التأثير الفسيلوجي، أي الخاص بوظائف أعضاء الجسم الناتج عن شبكية العين، سواء أكان ناتجاً عن المادة الصباغية الملونة أم عن الضوء الملون."(حموده،١٩٧٩م)،وعرفه محمد يوسف همام بأنّه:"شعر صامت نظمته بلاعة الطبيعة،وبيانها فهو كلامها ولغتها والمعبر عن نفسيتها"(همام،١٩٣٠م). ومعاني اللون قد تتعدد كما في قوله تعالى:"ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إنّ الله عزيز ذو انتقام"(فاطر٢٨)، فنلحظ أنّ مفردة اللون قد تعددت معانيها إلى ما تدل على الهيئة، والجنس، والنوع، والصنف، والتغير، والتبدل.

واللون باختلاف درجاته يترك تأثيراً في النفس والمشاعر الإنسانية، فتستجيب النفس لأثر دون آخر، وتبقى البلاغة اللغوية الإنسانية عاجزة أمام تصوير هذا الإحساس الغريب، وفضلاً عن ذلك كله أنّ ميل الإنسان إلى لون بذاته، وتفضيله على غيره، يرتبط بمجموعة من الخصائص الفردية، أهمها اختلاف الأذواق، والطبائع، والعادات الاجتماعية. وإن الأهمية النفسية للون لها جذور عميقة وواسعة في عقل الإنسان من الناحية النفسية. ونجد الشاعر قد أدرك الأثر النفسي للون، وأنّه لم يخرج عن العصر الذي عاش فيه، بل كان ابن مجتمعه، وقد أظهر لهذا المجتمع إبداعه في استعمال اللون، فهو يتعامل مع الألوان لدلالاتها التي سادت في ذلك العصر، وقد ظهر هذا في توظيفهم اللون ودلالاته، بوصفه نوعاً من الكشف عن المشاعر والعلاقات الخبيئة، لأنّ الخطوط والألوان بالنسبة إلينا ليست إلا علامات لحقائق مختبئة.(الدروبي،١٩٨١م).

ولاريب في أنّ اللون يبعث القدرة على إحداث تأثيرات نفسية في الإنسان، ولاسيما في الكشف عن شخصية الإنسان، ذلك؛ لأنّ كلّ لون من الألوان يرتبط بمفهومات معينة، ويمتلك دلالات خاصة.(عمر،١٩٨٢م)، كما أنّ" اللون لا يأتي لوظيفة زخرفية جمالية محضة، بل الهدف نفسي، يثري التجربة والمعنى ويقيم بناء الرمز."(نوفل،١٩٩٥م).

فالألوان تفصح بتأثيرها أنها ليست مجرد أصباغ، ثمّ نغض النظر عنها، بل تحمل من المعاني والدلالات الجمالية الشيء الكثير والكبير المتوافر في النفوس، والذي يدوم أثره ويخلد، فضلاً عن الزينة التي تضفيها على الأشياء، ويرتبط اللون بمؤثرات مهمة، وهي التي تحدد سلوك الإنسان، وهي البيئة التي تحيط بالإنسان ويتأثر بها، وما ينبعث من داخله من انفعالات وأصداء، وهو ما يرتبط أشد الارتباط بالإحساس، فهناك"ألوان تثير في النفس استجابة وانفعالا، ولاسيما أنّ الأحمر مثلا غالبا ما يرتبط بالإشارة إلى الغضب أو الدم أو القتل"(الزواهرة،٢٠٠٨م)، وورد في القرآن الكريم ما يشير إلى الفوز والنجاة، وذلك باستخدام اللون الأبيض، وما يشير إلى الهلاك والخسران وذلك باستخدام اللون الأسود، كما في قوله تعالى:" يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرت بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون"(آل عمران،١٠٦).

وإذا تتبعنا اللون في التجربة الشعرية، نلحظ أنّ اللون يعبر تعبيرا صادقا عن مشاعر الشاعر وأحاسيسه عبر اللوحة الفنية التي يرسمها أو الصورة الشعرية،" وأنّ درجة تركيز اللون ترتبط بدرجة التوتر الشعوري والوجداني عند الفنان والشاعر، إذ إنّ اللون منبع الشعور بالأشياء، وهو عنصر الإحساس بها، وله وجود حقيقي، ينبثق عنه وجود معنوي جمالي، وفيه حسّ فني وصفة حقيقية، ولاسيما في التشكيل الفني"(الربضي،١٩٩٥م).

فاللون، يُعدّ من أهم آليات فن الرسم، لأنه من المحسوسات المكونة للصورة ،لكنه يتقدم غيره من المحسوسات ويكون له – من بعد- دلالات وإيحاءات ورموز، تفوق ما عداه من سائر المحسوسات.(نوفل،١٩٩٥م)، وعلاقة الشعر بالرسم علاقة مترابطة تحدد عبر عنصر مشترك وهو اللون" ويتوقف التفريق بين الشعر والرسم عند حدود الرؤية الفنية، وتكون الكلمة هي مادة الشعر في سياق الشاعر معبرة عن نفسه، ويكون اختيار الألوان والخطوط من خلال اللون الذي هو مادة الرسم، وهو ما يشبه لغة خاصة الشعراء"(الزواهره،٢٠٠٨م)، فالرسم شعر صامت، والشعر رسم ناطق"الرسم شعر يرى ولا يسمع، وأنّ الشعر رسم يسمع ولا يرى، وإنّ أياً من الرسام والشاعر قد وصف نفسه في مقدمة ديوانه بأنه كاتب صور ورسام كلمات"(الزواهرة،٢٠٠٨م). ويحاول الشاعر دائماً أن يجود في تكوين وتشكيل صوره الشعرية؛ لكي ينقلها للمتلقي بصورة جميلة، وجيدة المعنى، فانتبه إلى الألوان الموجودة في الطبيعة فتأثر بها عن طريق مشاهداته للطبيعة وما فيها من ألوان، والعين هي التي تنقل هذه المحسوسات"فالشعر ينبت في أحضان الأشكال والألوان، سواء أكانت منظورة أم مستحضرة في الذهن."(إسماعيل،١٩٦٣م)

وباختصار، يشترك فن الرسم والشعر في اللون، فالرسام يرسم بريشته وأصباغه، والشاعر يرسم بألفاظه وأحياناً يستخدم الألفاظ اللونية، وكانت الألوان إحدى وسائل الشاعر في التعبير عن أحاسيسه وما يعتريه من مشاعر، وتساعده في توضيح المعنى، أو الرمز إليه من خلال ما يحمله اللون من دلالات ورموز.

ووظف الشعراء اللون في أشعارهم، وأدركوا ما للون من أهمية في رسم الصورة الشعرية، فأفادوا من الدلالات التعبيرية للألوان على اختلاف دلالاتها، فبعضهم ربط بين الموضوع واللون، أو محاولتهم التعبير عن ذاتهم ومشاعرهم ومزاجهم من خلال اللون.

وإذا تتبعنا اللون في الشعر العربي القديم، فإننا نلحظ أنّ اللون شكل مساحة لا بأس بها في الشعر الجاهلي، وكان الشعراء يستمدون الألوان من طبيعة الجزيرة العربية، وكانت صورة اللون ترد عند معظم الشعراء، فصورة الممدوح تتسم بالبياض أو ما يوحي بالبياض، وفي شعر الغزل استعملوا اللون الأبيض والأصفر، أما الشعر الخمري فكان

اللون الأحمر يغلب على غيره من الألوان، فيما كان اللون الأسمر مجسداً في وصف صورة الرمح.(علي،٢٠٠١م). ودلالات الألوان كانت بسيطة إذا ما قورنت بالعصر العباسي.

وفي العصر الإسلامي والأموي لم تختلف دلالات الألوان كثيراً عن العصر الجاهلي، إلا دخول بعض المعاني الإسلامية في تفضيل بعض الألوان، وبخاصة الألوان التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة.

وقد ازداد استخدام الألوان في العصر العباسي؛ بسبب التقدم الذي طرأ على مختلف جوانب الحياة؛ الثقافية، والحضارية، والاجتماعية، ولكنها انتشرت انتشاراً واسعاً في العصر الحديث.

حياة الشاعر:

أبو نواس هو الحسن بن هانئ، وهو فارسي الأب والأم، اختلف الرواة في السنة التي ولد فيها، والراجح أنها سنة مائة وتسع وثلاثين للهجرة، ولم يكد يبلغ السادسة من عمره حتى توفي أبوه، فنقلته أمه إلى البصرة، وقامت على تربيته، وسرعان ما دفعته إلى الكتّاب، فحفظ القرآن وأطرافاً من الشعر، وتفتحت موهبته، فأخذ يلهج ببعض الأشعار.(ضيف،١٩٧٢م)، وشب الغلام ،فأخذ يختلف إلى حلقات المسجد الجامع يتزود من الدراسات اللغوية، والدينية، ومن الشعر القديم ومعانيه. غير أنّ أمه رأت أنّ تلحقه بأحد العطارين، فكان يذهب في العشي على المسجد يستمع من أبي عبيدة أخبار العرب وأيامهم،ويلتقط من أبي زيد غرائب اللغة، ومن خلف الأحمر نوادر الشعر.(ضيف،١٩٧٢ م)، وخرج إلى بادية بني أسد، وظل بينهم حولاً كاملاً يتزود من ينابيع اللغة، وأخذ ينهل من اللغويين ومحاضراتهم وخاصة خلفاً الأحمر الذي حثه على حفظ الشعر العربي القديم وحفظ المئات من أراجيزه، ولم يكتفِ بالشعر واللغة فقد طلب الفقه، والتفسير، والحديث، وطلب أيضاً علم الكلام عند النظام وغيره من المتكلمين. وقد وصله هذا العلم بالثقافات التي كان يتصل بها المتكلمون، فأخذ من الثقافة الهندية. ولا شك في أنّ اتصاله بالثقافتين الفارسية واليونانية، كان أكثر عمقاً فقد كان فارسي الأصل، وكان يحسن الفارسية، ونظر فيما ترجمه عبد الله بن المقفع وغيره من آدابها المختلفة، ونظر في الفلسفة اليونانية وما اتصل بها من منطق.(ضيف،١٩٧٢م)

وقد انتقل إلى بـ غداد، ومدح الرشيد ونال جوائزه، وكان مقرباً للبرامكة، ويغدقون عليه من برّهم ونوالهم، ومدح الخليفة الأمين. واختلف الرواة في تاريخ وفاته، فمنهم من تقدم به على سنة ١٩٥هـ ، ومنهم من تأخر به إلى سنة ١٩٩هـ ، وقيل توفي بعد المائتين بقليل، وفي ديوانه رثاء للأمين يشهد بأنّ وفاته لم تكن قبل سنة ١٩٨هـ.(ضيف،١٩٧٢م)

واهتم النقاد بشعره، وأشادوا بموهبته، فكان أبو عبيدة، يقول:" ذهبت اليمن بجدّ الشّعر وهزله: امرؤ القيس بجدّه، وأبو نواس بهزله"(ابن منظور،أخبار أبي نواس،تحقيق إبراهيم الأبياري،ط دار الشعب،ط١٩٧٩م)، وقال أبو عبيدة: أبو نواس في المحدثين مثل امرؤ القيس في المتقدمين، فتح لهم هذه الفطن، ودلهم على المعاني، وأرشدهم إلى الطريق والتصرّف في فنونه."(ابن منظور،١٩٧٩ م)، وكان أبو عمرو الشيباني يقول:" أشعر الناس في وصف الخمر ثلاثة: الأعشى، والأخطل، وأبو نواس."(ابن منظور،١٩٧٩)

وأبو نواس موهبة شعرية كبيرة فعلى الرغم من مجونياته"يعد من أعاجيب عصره في الشعر، إذ كان يحظى بملكات شعرية بديعة، وهي ملكات صقلها بالدرس الطويل للشعر القديم واللغة العربية الأصيلة، حتى قال الجاحظ:"ما رأيت أحداً أعلم باللغة من أبي نواس" وأضاف إلى هذا العلم علماً دقيقاً بقوالب الشعر الجاهلي والإسلامي وما صارت إليه عند

بشار وأضرابه من أوائل العباسيين، ومن خلال هذه القوالب جميعها أخذت شخصيته تنمو في اتجاهين: اتجاه يحافظ فيه على التقاليد الموضوعة دون أن يشتط في التجديد، واتجاه يجدد فيه تجديداً واسعاً، يجدد في معانيه وألفاظه.(ضيف،١٩٧٢م)

الصورة اللونية في مدائح أبي نواس:

يُعدّ المديح من أهم الأغراض الشعرية التي نظم بها الشعراء القدماء، والمديح هو ذكر صفات الممدوح، وتمجيد الممدوح وبخاصة كرمه وشجاعته، أما أحاسيسهم وعواطفهم فكانت مختلفة متفاوتة تتأرجح بين الصدق، والتملق، والرغبة في العطاء ، فشاعر المديح يحاول جاهداً أن يضفي على ممدوحه أجود الصفات؛ لكي يجزل الممدوح في عطائه.

وهذه الصفات أصبحت تقليدية متوارثة منذ العصر الجاهلي، وأصبح الشعراء فيما بعد يكررون هذه الصفات، فيصفون الممدوح بالكرم، والشجاعة، والنسب الرفيع، ووسامة الوجه واشراقه. وما يهمّنا في موضوع المديح، بيان مدى الارتباط بين هذه الصفات كلها واللون، " ذلك أنّ كثيراً من تلك الصفات تبنى على أساس لوني بيّن، كصفو السريرة ونقائها، ووضاءة الوجه واشراقه، وتشبيهه بالبدر، أو غير ذلك من دلالات لونية أخرى صريحة أو غير صريحة."(السامرائي،٢٠١٣م)

اللّون الأبيض والأسود:

ومن المعروف، أنّ شاعرنا كان من المجددين في مقدمة القصيدة، فلم يتوقف على الأطلال كعادة الشعراء السابقين، وإذ توقف عند الأطلال يكون ساخراً من هذا الوقوف، وكان يفتتح قصائده بموضوعي الخمر أو الغزل، بل إنّ معظم قصائده كان يفتتحها بالخمر، ولا تخلو هذه المقدمة الخمرية من صور لونية، وقد ظهر أثر هذه الألوان في مدائحه حينما يصف ممدوحيه. فمدح الشاعر هارون الرشيد، وبدأ القصيدة بمقدمة خمرية، إذ يقول: (الديوان،ص٤٠٢)

وكأسٍ كمصباح السَّماء شربْتُها على قُبْلةٍ أو موعدٍ بلقاء
أتتْ دونها الأيّامُ حتى كأنّها تساقطُ نُورٍ من فُتوق سَمَاء
ترى ضوءَها من ظاهر الكأسِ ساطعاً عليك وإنْ غطّيْتها بغطاء

فذكر هذه الأبيات في مقدمة مدحه لهارون الرشيد، وفي هذه الأبيات تظهر الصور اللونية بصورة صريحة أو غير صريحة، فشبه كأس الخمر بمصباح في السماء، فظهر اللون الأصفر للخمر التي وضعت في الكأس ، وأيضاً في مصباح السماء وهو النجم الذي يتلألأ في السماء، ولهذه الخمر نور وإشعاع كما تتساقط أنوار وأشعة أنجم السماء الساطعة في السماء الصافية، وأنجم السماء المنيرة مرتفعة وعالية، فربط هذه الصور اللونية ودلالاتها بمنزلة هارون الرفيعة العالية، فهارون من أفضل الخلفاء في سياسته لأمور الخلافة، إذ يقول: (الديوان،ص٤٠٢)

تباركَ من ساسَ الأمورَ بعلمِه وفضَّل هارونَ على الخلفاءِ
نعيشُ بخيْرِ ما انطوينا على التُّقى وما ساسَ دنيانا أبو الأمَنَاءِ
إمامٌ يخافُ اللهَ حتى كأنّه يؤمّلُ رؤْياهُ صباحَ مساءِ
أشَمُّ، طَوَالُ السَّاعدينِ، كأنّما يُنَاطُ نجاداً سيْفُهِ بلواءِ

وقد استخدم الشاعر الألوان في التمهيد لموضوع المديح، والصفات التي سيضفيها على ممدوحه الذي له مكانة عالية على سائر الخلفاء، وصفة العلو والرفعة من الصفات المرتبطة بالملوك، فممدوحه هو صانع الحرب، والأمن، والخير، وهو إمام الناس، ويخشى الله، وهو رمز الهيبة والقوة، " فأفاد الشاعر من اللونين في جعل المشهد منيراً بانتقائهما، وهما اللذان يؤطران لوحته ويحملان المتلقي على التآلف معاً، ومع دلالتهما المعروفة من

ناحيــة تســليط الضــوء علــى معنــى دون آخــر حتــى يظهــر الممــدوح بــأبهى حلــة." (الدهان،١٩٩٢م)

ويقدم الشاعر أحيانا أكثر من صورة لونية في النص الواحد، إذ يقول في مدح يحيى بن خالد البرمكي: (الديوان،ص٤٧٦)

فـإذا مـا وردت بحـر أبـي الفضــ ـل، نفضْتُ النحوسَ عن أثوابي
صورةُ المشْتَري لدى بيتِ نُورِ ا للّيْل، والشّمس أنتَ عند النصابِ
ليس روايسُ حين سـار أمـامَ الـ ـحوتِ والبدرُ إذ هوى لا نصبَابِ
منـك أسخـي بما تشُـحُّ بـه الأنـ ـفسُ عنـد انتقـاصِ دَرِّ الحِـلابِ
لا... وبهْـرَامُ يسْتقِـلُّ سمـاءَ الـ ـغَرْبِ والليـلُ زائـدٌ في الحِسَـابِ
منك أمْضى لدى الحروبِ ولا أهْـ ـولُ في الغين عند ضربِ الرِّقابِ

فحفل هذا النص بالصور اللونية، وهي:

اللون الأزرق: البحر والسماء.

اللون الأبيض والذي يميل للصفرة: النجوم، والكواكب، والبدر، والشمس، والنور.

اللون الأسود: الليل.

اللون الأحمر: في قوله الحروب وما فيها من إراقة الدماء، وضرب الرّقاب وما يسيل فيها من دماء.

وهذا الحشد الكبير لأسماء الكواكب والنجوم يدل على معرفة الشاعر بعلم الفلك والتنجيم؛ إذ ورد اسم الشمس، المشتري، والقمر، والبدر. وأسماء النجوم روايس، والحوت، وبهرام وصورها جميعها صورا لونية ضوئية. وعلاوة على ذلك صورة البحر والليل. وربط الشاعر بين هذه الصور الملونة ودلالتها وصورة الممدوح،فممدوحه له منزلة عالية، فهو كالشمس والمشتري في وسط السماء،وممدوحه يزيل الشدائد والغمم،ويشبه في ذلك بالقمر والبدر في إزالة ظلمة الليل، ونلحظ بأنه يستخدم اللوّن الأسود الذي يظهر في صورة الليل لدلالة اللون؛ إذ يدل اللون الأسود على الشدائد، والمصائب، والهموم، والأحزان، ولكن ممدوحه يبدد الظلمات جميعها. وحينما يمدحه بالكرم تظهر صورة لونية وهي صورة البحر،وهذه الصورة من الصور التقليدية، فغالبية الشعراء يشبهون ممدوحيهم بالبحر في صفة الكرم. وظهر في هذا النص اللون الأحمر الذي يرمز ويدل على القوة والشجاعة، فربط بين هذا اللون وقوة الممدوح وشجاعته.

فالألوان عند الشاعر لا تأتي للزخرفة أو الزينة، وإنما تأتي لوظيفة في النص الشعري كما نلحظ ذلك في النص السابق، ولم يستخدم الألوان الصريحة، لكنه استخدم الألوان غير الصريحة، وبخاصة في موضوع النور والظلمة، فاستخدم الكواكب والنجوم لما فيها من نور وإشعاع وعلو وعكس ذلك كله على ممدوحه. وكذلك الحال، للون الأحمر والأزرق.

واستمد الشاعر صوره اللونية من البيئة التي عاشها في العصر العباسي، وهي بيئة تطورت فيها الحياة العربية تطورا كبيرا، وبخاصة من الناحية العلمية والحضارية ، فزخرت صورهم بالثقافة والألوان"فلقد اتكأ الشاعر إلى تلوين تشبيهاته بشتى الألوان والأضواء المستقاة من بيئته وحياة عصره آنذاك، فبرز اللون بروزا أساسيا وركنا فاعلا من أركان الصورة، فتارة مشبها وتارة مشبها به؛ لذلك شكلت اللذة والمتعة في ذهن المتلقي والقارئ قدرا واسعا من تمثل الصورة مع تجربة الشاعر التي قدم اللون فيها تقديما شعريا فنيا مميزا."(الجبوري،٢٠١٦)

ويقابل الشاعر في صوره اللونية وغالباً نجده يقابل بين اللون الأبيض واللون الأسود وفي ألوان غير صريحة ولكنها تشير إلى اللون، إذ يقول في مدح الأمين: (الديوان،ص٤١١)

بدرُ الأنام محمَّدٌ أخذ المكارمَ باليمين
وابن الخلائف، الذي سبقت به طيب الغصون
جاءت به ابنة جعفرٍ قمراً جلا ظلمَ الدجون

فممدوحه " بدر الأنام" أي أفضل الناس في منزلته وعلوه ووسامته وبهائه وكرمه، فلقد أشار إلى هذه الصفات جميعها بلون البدر وكماله وجماله، ويظهر في النص صورة لونية ثانية وهي اللون الأخضر الكائنة في الغصن، فالأمين هو غصن في شجرة الخلافة العباسية، وبطبيعة الحال، اللون الأخضر فيه دلالة على الحيوية، والنشاط، والقوة والعطاء، والشباب ونضارته.واستعار للأمين صورة القمر وما فيه من صورة ضوئية تنير ظلمات الليل المظلم، وعبر عنها" قمراً جلا ظلم الدجون" وقصد بها، أنّ الأمين قد أزال الفتن والمصائب والشدائد التي كنى لها بـ "ظلم الدجون" والدجون من دجن وهو اللون الأسود .

والواضح من هذا التضاد اللوني في موضوع المدح، أنّ الشاعر حينما يصف الممدوح باللون الأبيض، فإن الشاعر يرمز إلى القوة والشجاعة والمكانة الرفيعة التي يتحلى بها الممدوح، أما ما يقابله من اللون الأسود، فالشاعر يرمز إلى الظروف الصعبة التي يمر فيها الممدوح أحياناً فالخلافة في بعض الأوقات تمر بثورات وفتن؛ ولهذا ظهر هذا التضاد بين اللون الأبيض، واللون الأسود، وممدوحه دائماً منتصرا يزيل كلّ هذه الصعوبات.

فالشاعر يقابل بين اللون الأبيض واللون الأسود، وهما من الألوان الأساسية؛ ولذلك يقول ابن رشيق القيرواني:" إنّ السواد والبياض ضدان، وسائر الألوان يضاد كلّ منهما صاحبه، إلا أنّ البياض هو ضد السواد على الحقيقة."(ابن رشيق،١٩٧٢م) ويرى أبو هلال العسكري أنّ المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة، مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار، والحر والبرد.(العسكري،١٩٥٢م) والتضاد يؤدي وظيفة في النص الأدبي؛ إذ يستطيع المتلقي أو القارئ من مقارنة الأشياء وبالتالي تؤدي إلى تجلية الصورة وتوضيحها، وكذلك الحال للون الذي يقع فيه التضاد، ويسهم –أيضا- في إبراز القيم الجمالية للتصوير الفني؛إذ يرى عبد القاهر الجرجاني"أنّ الأشياء تزداد إحساناً بالتضاد"(الجرجاني،١٩٨٢م)

واللافت للنظر، أنّ ظاهرة التضاد اللوني انتشرت في شعر الشاعر؛ إذ يقول في مدح الأمين: (الديوان،ص٤١١)

قد ركبَ الدُّلفين بدرُ الدُّجى مقتحماً للماءِ قد لجَّجَا
فأشرقتْ دجْلة من نورهِ وأسْفرَ الشَّطَّان، واسْتبْهَجَا

والدلفين: سفينة تشبه الدلفين، فصور ممدوحه بالبدر، ولم يكتف بذلك، بل صوره بأنه بدر الدجى، وهنا نلحظ أنّ الشاعر قد قدم صورتين لونيتين، وهما اللون الأبيض، وهي صورة البدر، واللون الأسود وهي صورة الدجى، وجعل لممدوحه نوراً " فأشرقت دجلة من نوره" و" أسفر الشطان" لهذا النور الذي سطع عليهما. وقد أدت هذه الصور اللونية إلى اتسام النص الجمالي بهذه الصور اللونية المنيرة الزاهية، وفيها قابل بين صوره، ونلحظ أنّ هذا التضاد يعود إلى أصل دلالي واحد وهو اللون،فيقول مدحت الجبار:"وذلك تعد الدلالة اللونية هي الرابطة السياقية للنص المكون من لونين أبيض وأسود، والتي تجمع بين طرفي النقيض، وهناك أرضية مشتركة تجمعها، هي الدلالة المشتركة التي تجمع كلمتين مختلفتين ترجعان إلى أصل دلالي عام مثل دلالة اللون تجمع بين الأبيض والأسود."(الجبار،د.ت)

وغالباً يصف ممدوحه باللون الأبيض، ويقابل هذا اللون باللون الأسود، إذ يقول في مدح الأمين: (الديوان،ص٤٠٨)

رُفع الحجابُ لنا فلاحَ لناظرٍ قمرٌ تقطّعُ دونه الأوهامُ

...

ملكٌ أغرُّ إذا شربتَ بوجهه لم يعْدُكَ التّبجيل والإعظامُ

فالبهْوُ مشْتملٌ ببدْرِ خلافةٍ لبسَ الشَّبابَ بنوره الإسلامُ

...

داوى به الله القلوبَ من العَمَى حتى أفقنَ وما بهنّ سقامُ

وحينما سمح الحجاب للشاعر الدخول على الممدوح،فبدا الممدوح مشرق الوجه كالقمر، وصورة القمر صورة لونية بيضاء وفيها نور وإشعاع، فحينما شاهده تأكد أنه الخليفة؛ ولهذا أكد هذا اللون مرة ثانية بصورة لونية بيضاء، حينما قال:" ملك أغرّ" والأغر اللوّن الأبيض، وظهرت صورة لونية ثالثة بيضاء ولها نور وبهاء؛ إذ صور الخليفة في مجلسه بـ "بدر خلافة"، وهذه الصور جميعها تدل على علو منزلة الممدوح فالذي يراه لا بد أن يبجله ويعظمه، ويحتل اللون الأبيض المرتبة الأولى بين الألوان . واهتم العرب قديما بتمييز الأبيض بألفاظ خاصة، تحدد درجاته وصفاته، فقد رتب الثعالبي درجات الأبيض على النحو الآتي: أبيض، ثمَّ يقق،ثمّ لهق، ثمَّ واضح، ثمَّ ناصع، ثمَّ هجان،ثمّ خالص.(الثعالبي،١٩٥٤ م)، أما الألفاظ التي تدل على اللون الأبيض فهي كثيرة، فقالوا رجل أزهر، وامرأة رعبوبة، شعر أشمط، وفرس أشهب،وبعير أهيس، وثور لهق، وبقرة لياح، وحمار أقمر،وكبش أملح، وثوب أبيض، وفضة يقق.(الثعالبي،)أما الصورة الرابعة،فهي تصويره لأصحاب الفتن أنّ قلوبهم أصيبت " بالعمى" والعمى يشير إلى الظلام والجهل، ويقابله من الألوان اللون الأسود، الذي يدل على الشدائد والمصائب والحزن، فممدوحه بشجاعته وحكمته أزال هذه الشدائد والفتن.

ويقابل بين الألوان، وبخاصة الأبيض والأسود، فتظهر صورة الشيب الأبيض ويقابله بالشعر الأسود. ويقابل بين الحباب العالقة بالكأس المليئة بالخمر، بالسيب المتفرق في سواد العذار، وظهور الشيب كبياض النهار، والخمر بالليل، إذ يقول: (الديوان،ص٤٣٥)

يقولون في الشَّيْبِ الوقارُ لأهله وشيبي بحمدِ اللهِ غيرُ وَقارِ

...

كأنَّ بقايا ما عفا من حبابها تقاريقُ شيبٍ في سواد عذارِ

تردّت به ثمّ انفرَتْ عن ديمة تفرّى ليل عن بياضِ نهارِ

وتظهر هذه الصور المتقابلة كثيراً في ديوانه، فالخمر – في رأي الشاعر- تزيل هموم شاربها، كما يزيل ضوء النهار ظلمات الليل، فالخمر تشبه ضوء النهار، والهموم تشبه ظلمات الليل، فالصور متضادة، وفيها تقابل، إذ يقول: (الديوان، ص٤٩٩)

تفعل في الصدر بالهموم كما يفعل ضوء النهار بالظلم

ويجمع بين اللون الأبيض و اللون الأسود، إذ يصف المرأة ببياض الجيد وسمرة الشفاه، وماتت الظلماء كناية عن انتهاء ظلمة الليل ولم يبقَ منه إلا بقية الظلام(حشاشة الغلس) وتظهر الصورة الضوئية في سنا وهو الضياء والنور، وخبا أي انطفأ، وأضرم بمعنى أشعل والقبس وهي شعلة النار، إذ يقول : (الديوان،ص٥٠٤)

إلا شبيهاً بهن في وضح الـ ـجيد، وحسن العيون واللعس

وصاحبٍ رعْتهُ وقد ماتت الـ ـظلماءُ إلا حشاشة الغَلس

...

إذا سنــا ذا خبَــا لمدَّتِـه أضْـرَمَ من ذاكَ زاكيَ القبس

وفي إحدى لوحاته نلحظ تتابع الصور اللونية، إذ صور فيها رحلته إلى مصر؛ لكي يمدح الخصيب، إذ يقول: (الديوان،ص٤٨٢)

رحلنَ بنا من عَقْرَقوفَ وقد بدا من الصّبْح مفْتوقُ الأديم شهيرُ
فما نجدَتْ بالماءِ حتى رأيتُهـا مع الشّمْس في عَيْنَيْ أباغ تغورُ
وغمِّرْنَ من ماء الثُّقيْبِ بشَرْبَةٍ وقد حانَ من ديك الصَّباح زميرُ
ووافين إشْراقاً كنـائسَ تدْمُـرٍ وهنَّ إلى رَعْن المدحّن صُـورُ

...

وقاسَيْنَ ليلا دون بَيْسان لم يكدْ سنَـا صُبْحِـهِ للناظـرين يُنيــرُ

...

ولم أتت فسْطاط مصْر أجارها على ركبها أن لا تـزالَ مجيــرُ
مـن القـوم بسَّامٌ كـأنَّ جبينَــه سنَا الفجْر يسْري ضوءهُ وينيرُ

...

له سَلَفٌ في الأعجَمين كأنـهم إذا اسْتُؤذِنُوا يومَ السلام بـدُورُ

فوصف الشاعر رحلته من بدايتها إلى وصوله لديار الممدوح في مصر، وحشد في هذا النص مجموعة من الصور اللونية الضوئية والمتمثلة في اللون الأبيض واللون الأسود، وهي كالآتي: (الصّبح، والشمس، وديك الصباح، وإشراقاً، وأصبحن، والليل، وسنا صبحه، وسنا الفجر، وضوءه، وينير، وبدور)،ونلحظ في هذا النص أنّ اللفظ اللوني هو المهيمن على بناء البيت الشعري، ويؤدي ما يريده الشاعر، فالشاعر يقدم بهذه الألوان استعداداً لمدح الممدوح بأبهى الصور اللونية، وأثر هذا اللون في النص على نحو عام؛ وذلك لِمَ يمتلكه اللون من قدرة تعبيرية لمعاني القصيدة، " فالقصيدة تستلزم الانسجام بين مكوناتها وعلاقة أجزائها ببعضها، حتى تنطلق منها مشاهد القصيدة؛ لتحقق القيم الجمالية التي يسعى القارئ إلى تحصيلها، مستنهضا بذلك قدرته وقدرة النص على إثراء فكره، ومن ثـمّ إمكانيـة هيمنـة الـنص علـى غيـره مـن النصـوص المرتبطـة بـذاكرة القارئ."(السامرائي،٢٠١٣ م) والمهم في ذلك، أنّ اللون قد أسهم في البناء التركيبي للنص الشعري، وإضفاء القيم الجمالية على النص، فالألوان" تتحقق في الصورة على شكل صفات تمثل رموزاً معينة، يحدّدها مسار الفعل الشعري والفضاءات التي يبتكرها، زائداً السياقات التي تفرضها الحال الشعرية على تركيبة النص."(عبيد،٢٠٠٥م)، وهذا النص يعتمد في الدرجة الأولى على اللون الأبيض من البداية حينما تحدث عن الصباح وما فيه من ضياء إلى أنْ ينتهي بوصف من أقبلوا للسلام على الممدوح بالبدور، إلا صورة الليل الأسود.

ومدح الأمين، وربط الشاعر بين الممدوح ونور الشمس، ونور القمر؛ لمكانته العالية، وعدله، وحسن سياسته، وبهذه الصفات المتوافرة في الممدوح زادت الأرض اتساعاً، وتضاعف نور الشّمس والقمر،إذ نجد الشاعر يبالغ في صوره، ونعلم بأنّ أعذب الشعر أكذبه، إذ يقول: (الديوان،ص٤٢٢)

وازدادتِ الأرضُ لما ساسَها سعَة حتى تضاعفَ نور الشمس والقمر

والمهم، أنّ الصورة اللونية أدت وظيفتها في إدهاش وإبهار المتلقي بروعة وجمال هذه الصور، ونتخيل كيف تتضاعف نور الشمس والقمر؟ لأنّ الصورة الشعرية هي أثر الشاعر المغلق الذي يصف المرئيات وصفاً يجعل قارئ شعره لا يعرف أيقرأ قصيدة أم يشاهد منظراً من مناظر الوجود، إذ يناجي نفسه، ويحاور ضميره، لأنه يقرأ قطعة مختارة لشاعر مجيد.

والممدوح عند الشاعر أكثر جمالاً من الشمس والقمر، وأبهى نوراً، فنوره دائم ولا ينقص، أما أشعة الشمس فتغرب في المساء، وينقص نور البدر؛ بسبب حركته، إذ يقول: (الديوان،ص٤٢٢)

تتيهُ الشّمسُ والقمرُ المنيرُ إذا قلنا كأنكما الأميرُ
فإن يكُ أشْبَهَا منه قليلا فقد أخطاهما شبَهٌ كثيرُ
لأن الشّمْسَ تغْرُبُ حين تُمْسِي أنَّ البدْرَ يُنْقِصُه المسيرُ
ونورُ محمد أبداً تمامٌ على وضَح الطّريقةِ لا يحورُ

ونلحظ أنّ النص من بدايته إلى نهايته يعتمد على الصورة اللونية الضوئية، والشاعر أحدث تداخلا بين المشبه والمشبه به، فالشمس والقمر تشبه الممدوح في بهائه ونوره، والممدوح يشبه الشمس والقمر، والصور اللونية جميعها صور حسية مرئية نشاهدها ونحس بها.

ويجعل الشاعر للممدوح نوراً يقتبس منه، والبدور تضحك مع الأمين فتبادله الضحك بالبكاء من كثرة الضحك، إذ يقول: (الديوان،ص٤١٧)

أضحى الإمامُ محمدٌ للدّين نوراً يقتبس
...
تبكي البدور لضحكه والسَّيْفُ يضحكُ إنْ عَبسْ

ويركز الشاعر في مدحه للممدوح على وجه الممدوح، ويضفي عليه صورة اللون الأبيض على نحو عام،ويدل على النقاء والإشراق الذي يتمتع به الممدوح، فوجه الممدوح دائماً(بدر منير، أو قمر منير، أو يشرق نوراً، أو منوراً، أو زاهراً، أو أبيض، أو أغرّاً، أوبهيا)، والشواهد كثيرة على ذلك، ويبين أصحاب المعاجم العربية أنّ العرب " توسعوا في البياض فأطلقوه على الإشراق والإضاءة.وقد وصفوا به ليال الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، ووصفوا به الأرض إذا كانت ملساء لا نبات فيها، والجلد إذا كان بغر شعر. كما استخدموا البياض في مقام المدح بالكرم ونقاء العرض. واستخدم بياض الوجه للإشارة إلى نقائه وصفائه وإشراقه، ومنه قوله تعالى:" وأمّا الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله"(آل عمران،١٠٧)(عمر،١٩٩٧م)، ونلحظ أنّ معاني اللون الأبيض تكاد تكون مشتركة عند معظم الشعوب بما فيهم العرب؛ إذ يدل على" الهر والنقاء، واستخدمه العرب القدماء في تعبيرات تدل على ذلك، فقد قالوا: كلام أبيض، وقالوا: يد بيضاء، واستخدموا البياض للمدح بالكرم، ونقاء العرض من العيوب. ولارتباطه بالضوء وبياض النهار فقد استخدموه في تعبيرات تدل على ذلك، فقد قالوا: كتيبة بيضاء: على بياض الحديد، واطلقوا على الحنطة وعلى الشمس اسم البيضاء،وقالوا الأيام البيض لليالي ١٣،١٤،١٥لأن القمر يطلع فيها من أولها إلى آخرها."(عمر،١٩٩٧م) إذ يقول في مدح الخليفة الأمين: (الديوان،ص٤٢٣)

صدق الثناءُ على الأمين محمد ومن الثناء تكذب وتخرُّصُ
قد يَنْقصُ القمرُ المنيرُ إذا اسْتوى وبهاءُ وجْهِ محمدٍ لا ينقصُ
وإذا بنو العبّاس عُدَّ حصاهمُ فمحَمّدٌ ياقوتها المستخلصُ

وتظهر الصورة اللونية في قوله:"قد ينقص القمر المنير" فنور القمر ينقص مع حركته، أما وجه ممدوحه لا ينقص نوره وبهاؤه ، وممدوحة صفوة بني العباس ويشبهه بالياقوت الخالص، ولون الياقوت أحمر اللون، والشاعر لم يقصد اللون الأحمر ودلالته، وإنما قصد أنّ ممدوحه أفضل بني عباس. فوجه الممدوح هو مركز الصورة عند الشاعر، وتمكن من نقلها للمتلقي أوالقارئ؛ فالصورة اللونية حققت وظيفتها في تركيز الصورة؛

وذلك بتوضيح جزء مهم من الممدوح وهو الوجه، فاهتم به وبرسم ملامحه، والوظيفة الثانية لهذا التركيز أراد منه الشاعر أن يشد انتباه المتلقي، فقدم له صورة مركزة للمشهد، وأعان القارئ على عدم تشتيت ذهنه.

وقد برزت الصورة اللونيّة الضوئيّة في مدح الشاعر لممدوحيه، ويحشد أحياناً عدة صور لونية ومن لون واحد وهو اللون الأبيض، ومعناها واحد، ولكنّه ربما يهدف إلى تأكيد المعنى. والحقيقة، أنّ صوره اللونية تمتاز بالجمال الفني الرفيع؛ وذلك لكثرة الألوان الساطعة الضوء من أبياته الشعرية، فالشاعر يقيم في قصائد مدحه مهرجاناً ضوئياً من الصور اللونيّة الضوئيّة، إذ يقول في مدح الخليفة الأمين: (الديوان،ص٤٢٣)

تتيهُ بكَ الدنُيا، وتزْهُو المنابرُ وتشْـرقُ نـوراً حين تبدو المقاصرُ

....

ولله بـدْرٌ في السمـاءِ منـوَّرٌ وأنتَ لنا بـدر على الأرض زاهرُ

فتتيه الأرض بوسامة الممدوح ومكانته الرفيعة، وتزهو به المنابر، وتشرق الديار الواسعة بنوره، والبدر ينير السماء، أما الأمين فينير الأرض فهو بدرها الزاهر. والأزهر من الرجال هو الأبيض العتيق النير الحسن،(قاموس الألوان عند العرب،١٩٨٩م)

ويمدح الأمين باللون الأبيض وهو الأزهر ، ويشير إلى أنّ أمه وأباه هاشميان، من المنصور فأمه زبيدة ابنة جعفر المنصور، وأبوه الرشيد بن المهدي بن المنصور، إذ يقول: (الديوان،ص٤١٦)

بأزّ هَرَ من بني المنصورِ، تنمى إليْه ولادتان لـهُ اثنتـان

وتهيمن صورة القمر اللونية الضوئية على صور الشاعر؛ إذ يبين أنّ وجه الخليفة الأمين قمر، والقمر ينير ظلام الليل، وإذا لم يظهر القمر، فوجه الخليفة يحلّ مكان القمر وما فيه من لون وضوء وجمال، إذ يقول: (الديوان،ص٤٢٤)

حسْبُكَ وجْهُ الأمين من قمرٍ إذا طوى الليـل دونـك القمرا

وقد جعل وجه الممدوح قمراً، وظهر في البيت الشعري صورة أخرى وهي صورة الليل بسواده، ويقصد من صورة القمر، علو منزلة الممدوح، ولونه المشرق المنير، ورأيه الصائب، والناس بحاجة إلى رأيه في أوقات الشدائد.

ويرسم الشاعر صورة لونية للبدر في حال اكتماله ، ويشبه به المرأة الكاملة الجمال، فبدأ قصيدته بالغزل ثم انتقل إلى موضوع المديح، ونلحظ في مديحه، أنه ربط بين تمام البدر وجماله، وكمال الممدوح في صفاته، إذ يقول في مدح موسى بن الفضل: (الديوان،ص٤٩٧)

وقادني حُبُّ ريم مهَفْهَفِ الكشْح رودِهْ
كالبدر ليلة عشْرٍ وأرْبـــع لســـعودِهْ

فبين صفات هذه المرأة فهي رقيقة ضامرة، وناعمة، وليّنة، وجميلة كجمال البدر التام، ثمّ انتقل إلى
مدح ممدوحه فيقول:

وئصْبَ عيْنيَ طوْدٌ فكيف لي بصعُـودِهْ
وتحتَ رِجْلي بحرٌ يجري الهوى بمُدُودِهْ
وفوقَ رأسي كميٌّ مقنـعٌ فـي حـدِيـــدِهْ

فممدوحه عالي المنزلة ومهيب ولا أحد يقترب منه، وهو بحر في كرمه، وهو فارس شجاع مستعد للقتال، ومسلح تسليحاً تاما، ويلبس ملابس القتال. وقد مهّد الشاعر فذكر صورة البدر الكامل ؛ وذلك لكمال صفات ممدوحه.

ويشير الشاعر إلى تحسن أحوال الناس في عهد الخليفة، وهذا التحسن يضفيه على وجه الممدوح، فوجه الممدوح مشرق منير كإشراق نور الصباح، ويكني أيضا لفترة حكم الخليفة بأنها هادئة وجميلة، إذ يقول: (الديوان،ص٤٢٦)

تحسَّنَتِ الدنيا بوجهِ خليفةٍ هو الصُّبْحُ إلا أنه الدَّهْرَ مُسْفِرُ

وغالبا يضفي الشاعر على وجه الممدوح اللون الأبيض الصريح أحيانا ، وأحيانا غير الصريح، مثل الأبلج وهو المشرق الوجه، إذ يقول: (الديوان،ص٤٢١)

وإنّ لله سيفا فوق هامهمُ بكفٍّ أبلجَ لا ضرع ولا وانِ

ويشير هنا إلى قضاء الخليفة على الثائرين على الخلافة، الذين طالبوا بالخلافة وهم العلويون.

ويصف ممدوحه بأنه أغر، والأغرّ الأبيض المشرق، إذ يقول: (الديوان،ص٤٧٥)

أغـرٌ له ديباجـة سابرِيَّـة تـرى العِتْـقَ فيها جارياً مُتَبَيِّنَـا

وقد رسم بياض وجه الممدوح وإشراقه، ونعومه بشرة وجهه، فالجمال يسري في وجه الممدوح ويشبهه بالماء في الصفاء، والعذوبة، والرقة. ويشبه وجوه الممدوحين في رقتها وصفاء بشرتها وبياضها باللؤلؤ، إذ يقول: (الديوان،ص٤٤٧)

كأنما أوجههم رقـة لهـا مـن اللؤلؤ أبشـار

وصورة اللؤلؤ وبياضه وجماله تشير إلى العز والرفاهية التي يعيش فيها الممدوح.

ويكني للسيد بالأغرّ، والأغرّ الأبيض الشهير، فاللون الأبيض يحمل دلالة الشهرة، إذ يقول: (الديوان،ص٤٦٣)

سـاد الملـوكَ ثلاثـة ما منهـمُ إن حصّلوا إلا أغـرُّ قريـعُ

ويصف مكارم الممدوح بالغر، إذ يقول: (الديوان،ص٤٩٣)

واستزِدْنِي إلى مكارمك الغُـ ـرّ ومجْدٍ إليك خَيَّـمَ مجْـدُهْ

فاللون الأبيض يشير به إلى كرم الممدوح المعروف بين الناس.

ويشبّه قصائده في الممدوح بـ"الدّرّ" والدّرّ اللؤلؤ، وممدوحه درّة أو لؤلؤة بني هاشم، واللؤلؤ لونه أبيض، والصورة اللونية تشير إلى اعتزاز الشاعر بقصائده، ومنزلة الممدوح منزلة عالية رفيعة؛ ولذلك يشبهه بدرة بني هاشم، إذ يقول: (الديوان،ص٤٢٦)

ونثري عليكَ الدُّرَّ يا درَّة هاشم فيا من رأى درًّا على الدرِّ يُنْثَرُ

وأبدع الشاعر في هذه الصورة الفنية الجمالية العالية؛ إذ جعل أبياته كالدّرّ التي تنثر على الدّرّ، وهو الممدوح.

ويمدح الفضل بن يحيى بأنه أعاد الأمن والهداية والإيمان إلى الناس، فسبل الهدى والحق والخير قد أنار الممدوح طرقها فـ" أشرقت سبل الهدى"، وأشرقت صورة لونية ضوئية، إذ يقول: (الديوان،ص٤٧٣)

بفضل بن يحيى أشرقت سبل الهدى وآمن ربي خوف كل بلادِ

ومن صوره اللونية الضوئية ظهرت صورة البرق، والبرق يحمل دلالة خير؛ إذ يبشر بسقوط الأمطار التي فيها الخير للإنسان، ويربط بين هذه الدلالة وكرم الممدوح وعطائه، ولكن الشاعر يبالغ في صوره، فالممدوح فيه خير وجود أكثر من الغيث، إذ يقول في مدح الأمين: (الديوان،ص٤١٩)

يا غيثُ أبْرِقْ وأرْعِدْ محمدٌ منك أجـودْ

وتظهر صورة سنا البرق وهو ضياء البرق، كما في قوله تعالى:"يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار"(النور،٤٣)، إذ يقول: (الديوان،ص٤٧٢)

وكنا إذا ما الحائنُ الجد غرّه سنا برق غاوٍ أو ضجيجُ رِعَادِ

ويبين الشاعر حال عدو ممدوحه حينما أحاط به الموت المحقق، وقد توهم بأنه سينجو من الموت، كما يظهر أحيانا البرق الخادع، أو يسمع ضجيج الرعد، فالبرق وصوت الرعد لا يدل دائما على سقوط المطر.

ويصور حالة العشق التي وقع فيها، وقد وقع أسيرا لها، ويشبه لون المرأة التي عشقها بلون البرق الأبيض ولمعانه،إذ يقول: (الديوان،ص٤٩٧)

لا أستطيـــعُ فِـرارا من بـرقه ورُعُـودِهْ
وعسْكرُ الحبَّ حولي بخيـلـــهِ وجُـنُـودِهْ

ومن خلال اللّون، يصور الشاعر اجتيازه المفازة البعيدة، وصور فيها السَّراب، وهذه الصورة اللّونية الضوئية مؤلفة في الصحراء، وأنه اجتازها بناقته الصلبة السريعة، وتشبه سرعتها سرعة البرق، فظهرت صورة لونية ضوئية ثانية للبرق، إذ يقول: (الديوان،ص٤٩٤)

ومهْمــهٍ جزتُـــه مخاطـرةً بصَحْصَحَانِ السَّراب قد سَرْبَلْ
بعرمسٍ أمُّها الشَّمَالُ وتعْـ ـتدُّ بصهْرٍ في البـرق لا ينكـلْ

وظهرت صورة شام البرق، وهو النظر إلى البرق، ليرى أين يقصد هذا البرق؟ وأين يسقط الغيث؟، وتظهر في أبياته أحيانا أكثر من صورة، ففي هذا البيت الشعري ظهرت صورة البرق، وصورة ثانية وهي صورة الظل حين يقصر؛ وذلك في منتصف النهار حين تتوسط الشمس في كبد السماء، إذ يقول: (الديوان،ص٤٤٠)

رَكبٌ يشيمون مطرْ حتى إذا الظل قصرْ

وصور السَّراب الذي يظهر في الصحراء أثناء سفره، والسَّراب يجمع بين اللّون الأزرق واللمعان، إذ يتوهم من يراه بأن ماءً في ذلك المكان، والسّراب هو صورة ضوئية لأشعة الشمس تخدع البصر، إذ يقول: (الديوان،ص٤٤١)

شبْهـا إذا الآل مَهرْ إليـك كأفنـا السفـرْ

ويصف لون جلد ناقته بشدة البياض(يقق) الخالص من كلّ شيء، إذ يقول في قصيدة مدح فيها هارون الرشيد: (الديوان،ص٤٠٤)

واحْتازَهَا لونٌ جرى في جلدها يققٌ كقرطاس الوليد هجان

ويشبّه ممدوحه بالسّيف الأبيض الذي له بريق وقد جلاه ونقاه الصيقل مما عليه من صدأ، إذ يقول:(الديوان،ص٤٤٦)

كأنّــه أبيض ذو رونـق أخلصــه الصيقـل بنّـار

اللّون الأحمر:

اللّون الأحمر من الألوان الملازمة للإنسان لوجوده في الطبيعة، ويقول أحمد مختار عمر:"فهو من الألوان الساخنة المستمدة من وهج الشمس، واشتعال النار، والحرارة الشديدة، وهو من أطول الموجات الضوئية."(عمر،١٩٩٧م)، ومن أكثر سمات هذا اللّون ارتباطه بالدم، وارتبطت كثير من التعبيرات الأحمر في اللغة العربية بالمشقة والشدة من ناحية، أخذا من لون الدم، وبالمتع الجنسية من ناحية أخرى، وإن ظهر الأخير في الاستعمالات الحديثة فقط.(عمر،١٩٩٧م) ولتعبير عن درجات الحمرة أطلق لفظ" أرجوان " للشديد الحمرة، و" البهرمان" لما دونه بشيء من الحمرة. كما أطلقوا لفظ " المفدم " للمشبع حمرة، و"المضرج" دونه، و" المورد " بعده. واستخدموا "الملهَّب " لما لم تشبع حمرته من الثياب.(ابن منظور،د.ت)، وللأحمر درجات وأقسام ذكرها الثعالبي في فقه اللغة:" فذهب أحمر، وفرس أشقر، ورجل أقشر، ودم أشكل، ولحم شرق، وثوب مدمى، ومدامة صهباء." (الثعالبي،١٩٥٤م)

وقد ورد اللون الأحمر في مديحه وارتبطت صورته بالقتال، والشجاعة، والقوة، والدماء. فظهرت صورة السّيوف التي تنهل الدّماء من قلوب الأعداء، ودلالتها تشير إلى الشجاعة والقوة، إذ يقول: (الديوان،ص٤٩٦)

وكذاكَ علكٌ لا تزالُ سيُوفها تنهلُ من مُهَج الكمَاة ظبَها

وممدوحه يحمل سيفا طويلاً، ويقف أمام جيشه الأحمر اللون، ويشبّه هذا الجيش بالقميص المحبوك من القنا والجياد، إذ يقول: (الديوان،ص٤٧٣)

تردى له الفضل بن يحيى بن خالد بماضي الظبى يزهاه طول نجادِ

أمـامَ خميـس أرجُـوان كـأنّـه قميـصٌ مَحُـوكٌ مـن قنـا وجيادِ

ويمدح ممدوحه ويشبهه بالأسد،وصور حمرة عيني الأسد،ومن المعروف أنّ عيون الحيوانات الضارية عيون محمرة كأنها قطع اللهب أو الجمر لضراوتها، وبروز عيني الأسد من جفنيهما، ويشبهها بعيني المخنوق، إذ يقول: (الديوان،ص٤٥٢)

كأنّما عينُه إذا التهبتْ بارزةً الجفْنِ عَيْنُ مخْنوقِ

والصورة اللونية جاءت في قوله (التهبت) فالعين إذا التهبت تصبح حمراء اللون، والشاعر يشير بذلك إلى غضب الممدوح وشدته، إذ أن الذي ينتابه الغضب تكون -أحياناً- عيونه حمراء اللون.

ويتضح اللون الأحمر في صورة القبس ولفظة أضرم حينما يصف الخمر، فيجعل لها سناً أو نوراً، ويشبهها أيضا بالنار التي يشعل منها القبس، والقبس هو شعلة من نار، إذ يقول: (الديوان،ص٥٠٤)

إذا سنـا ذا خبـــا لمدّتـه أضْرَمَ من ذاك زاكيَ القبسِ

وممدوحه يطفئ نار الحرب، والنار صورتها لونية حمراء، وهو بذلك يشير إلى قضاء الممدوح على الفتن وإخماد الثورات، وظهر بجوار اللون الأحمر اللون الأسود وهو لون الكحل، فالملوك يعجبون ويعظمون أبا الممدوح، إذ يقول: (الديوان،ص٥٠١)

كم نار حَرْب ضلالةٍ أطفأتها ورضَاع جَهْل كِدْته بفِطام

إن الملوك رأوا أبـاكَ بأعْيُنٍ قد كحّلتْ بمراودِ الأعظام

وسيوف ممدوحه تنادم الدّماء،كناية عن شجاعة واستبسال الممدوح في قتال أعدائه، وسيوفه لا تستقر في أجفانها أي في غمودها، فدائماً تجدها مشرعة استعداداً للقتال، إذ يقول: (الديوان،ص٤٠٦)

أُلِفتْ منادمة الدّماءِ سيوفهُ فلقلّما تحتـارُهَا الأجفـانُ

ويحدد أحياناً لون الخمر، فيذكر أنّ لون الخمر التي شربها لونها كميت، والكميت من الألوان ما كان أحمر يميل إلى السواد، إذ يقول: (الديوان،ص٤١٢)

من كمَيْتِ اللون، صافيةٍ خَيْرِ ما سَلسَلتَ في بَدَن

ويستعير النار للحرب التي كان يقاتل فيها ممدوحه ويصول فيها كالأسد، وقوياً وحاداً كمضاء سنان الرماح، فظهرت الصورة اللونيّة، وهي صورة النار، إذ يقول: (الديوان،ص٤٦٩)

وإن شبت الحرب العوان سمالها بصولة ليث في مضاء سنـان

ويصور الضوء الخافت للشّعرى العبور، بأنها قد أخبت نارها أي حرارة حر الصيف ولهيبه بعد مضي شهر أيلول، إذ يقول: (الديوان،ص٤٥٥)

مضى أيْلولُ، وارْتفع الحرُورُ وأخبتْ نارها الشّعرى العَبُورُ

ويجعل للممدوح حالتين حالة الرجاء وحالة الخوف، ويقدم للحالتين صوراً لونية، ففي حالة الرجاء يشبه الممدوح الجنّة، وفي حالة الخوف والخشية يشبه النار، وفي الجنّة ألوان كثيرة منها الأخضر وغيره، وفي النار اللون الأحمر، إذ يقول: (الديوان،ص٤٤٦)

يرجو ويخشى حالتيك الورى كأنك الجنـــة والنـــارُ

ويذكر اللون الأحمر الكائن في الدم، حين وصف ناقته وآثار الدماء في منسمها ورسغها، وبعد ذلك مدح ممدوحه بلونين، هما اللون الأبيض كناية عن كرمه ، واللون الأحمر كناية عن شجاعته، إذ يقول: (الديوان،ص٤٨٧)

حَدابيرُ ما ينفكُّ في حيث بَرَّكتْ دمٌ من أظــلّ أو دمٌ من مخـــذم
إلى ابن عبيد الله حتى لقينـــه على السَّعْدِ لم يزْجُرْ لها طير أشأم
فألقتْ بأجرام الأسرِّ وبرَّكتْ بأبلــجَ ينــدى بالنُّــوال وبالـــدَّم

ففي البيت الأول صور الدماء التي نزفت من منسم(الأظل: باطن المنسم من الأبل)ورسغها(المخذم: موضع الخلخال أو السير من رسغ البعير)، وفي البيت الثالث مدح الممدوح.

وتظهر صورة الدماء الحمراء اللون غير صريحة في قوله:(عند ضرب الرقاب) فضرب الرقاب يتم فيه القتل وتدفق الدماء، إذ يقول: (الديوان،ص٤٧٦)

منك أمضى لدى الحروبِ ولا أهْـ ـولُ في العين عند ضَرْبِ الرِّقابِ

وتظهر في شعره صورة الخمر التي تضرب إلى الحمرة، وهي الصهباء، وتظهر صورة الخمر في مقابل الوقوف على الأطلال، وفي ثورته على المقدمة الطللية، إذ يقول: (الديوان،ص٤٦٤)

لأعطفَنَّ على الصَّهْباءِ عن دِمَنٍ لم يبقَ منْ عهْدها إلا أثافيها

اللّون الأصفر:

فقد أطلق العرب على الذهب اسم الأصفر والصفراء، وقالوا الأصفران؛ وأرادوا الذهب والزعفران.(عمر،) ووردت معانٍ وإشارات كثيرة للون الأصفر، وورد ذكر هذا اللون في القرآن الكريم، ومنها إشارات للتطور اللوني للنبات، كم في قوله تعالى:"ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثمّ يخرج زرعا مختلفا ألوانه ثمَّ يهيج فتراه مصفرا ثمَّ يجعله حطاما"(الزمر،٢١)، ويعدّه بعضهم أحد الألوان الساخنة، فهو يمثل قمة التوهج والإشراق، ويعد أكثر الألوان إضاءة ونورانية، لأنه لون الشمس ومصدر الضوء.(شكري،١٩٨٥م)

وورد اللون الأصفر في تشبيه الكؤوس الممتلئة بالخمر بالزعفران، فلون الشاعر كؤوس الخمر بلون الزعفران، وهذه الصورة ترتبط بما سبقها من صور تحدّث فيها عن لهوه وعبثه، وتمهّد لما سيأتي في مديحه لممدوحه بأنه قد أغدق عليه أموالا ومنها العقيان وهو الذهب الخالص، إذ يقول: (الديوان،ص٤٧٧)

واعتمالي الكئوس في الشّرْبِ تسعى مترَعَاتٍ كخالص الزعفرانِ
...
كلَّ يــوم علــيّ منــه سمـــاءٌ ثــرَّةٌ تسْتهــلُّ بالعقيـــانِ

ويظهر اللون الأصفر في الشمس والنجوم، واستخدم الشمس كثيرا في صور ممدوحه لبيان علوّ المنزلة، فممدوحه كالشمس تمثلت في بشر؛ إذ يكشف المصائب والشدائد والشرور، كما فعل والده يوم الرواق، إذ يقول: (الديوان،ص٤٤١)

عثـا وقد صابت بقَـرْ كالشّمس في شخص بَشَرْ
أعلى مجاريك الخطرْ أبـوكَ حَبلـى عن مُضَـرْ
يومَ الرِّواقِ المحْتضَرْ والخـوفُ يقـري ويــذرْ

ومن صوره الجمالية التي تتعلق باللون الأصفر تصويره للشمس والقمر المنير والبدر، وكلّ هذه الصور اللونية الضوئية جاءت تمهيداً لمدح الممدوح، إذ يقول: (الديوان،ص٤٢٢)

تتيــهُ الشمسُ والقمــرُ المنيــرُ إذا قلنـــا كأنكمــا الأميـــرُ

...

لأنّ الشمسَ تغرُبُ حينَ تمْسي وإنَّ البدرَ يُنْقِصُــه المسيــرُ

ونـــورُ محمـــد أبـــداً تمـــامٌ على وضح الطّريقةِ لا يحورُ

فالشاعر وظف الصورة اللونية في البناء التركيبي لصوره على نحوٍ عام، خدمة لبيان علوّ مكانة الممدوح. وأراد أن يبين احترامه وحبه لممدوحه، فجاء بهذه الصور الجمالية التي رسمها بالألوان والأضواء، فرسم الشمس ولون أضوائها الجميلة وقت الأصيل. وصورة القمر والبدر وتداخل هذه الصور مع الألوان والأضواء فكانت صوره في غاية الإبداع والجمال، ولكن جمال ووسامة ممدوحه تفوق كلّ هذه الصور الطبيعية الجمالية.

وصورة الشّمس تتكرر في شعره، وممدوحه يشبه الشّمس عند اكتمالها وتكون موجودة في كبد السماء، إذ يقول: (الديوان،ص٤٧٦)

صورة المشتري لدى بيْتِ نُور ا لليْل، والشمس أنت عند الئصَابِ

ومن اللون الأصفر تظهر صورة النجوم التي يميل لونها إلى اللون الأصفر، ويصوّر النجوم التي تسير خلف القمر في حال أطواره المختلفة، وفي حال اكتماله حينما يكون بدراً، وهي في حجمها وضوئها أقل من البدور والأهلة أي القمر وأطواره ، وهذه الصورة اللونية تشير إلى تقدم الممدوح على غيره في مكانته وفضله وعطائه وكرمه، فالشاعر يعقد مقارنة بين الممدوح وغيره من الممدوحين، فهو أفضلهم ويوضح هذه الفكرة في الأبيات السابقة واللاحقة لها، البيت الآتي : (الديوان،ص٤٦٧)

أين النجومُ التّاليا ت من الأهلةِ والبدورِ

ويذكر الحباب الذي يحيط كأس الخمر ، ويشبّهه بالسماء المكللة حوافها بالنجوم، إذ يقول: (الديوان،ص٤٤٨)

بنينا على كسْرى سماءَ مُدامةٍ مكلّلة حافاتهــا بنجــوم

فيصف الخمر وما يعلوها من حبب بالسماء المحاطة بالنجوم.

وصور دوران الطاسات التي تشرب منها الخمور بين شاربي الخمر، بالفلك الذي يدور ونجومه تظهر وتختفي، وتسير بسرعة وبطء، إذ يقول: (الديوان،ص٤٥٥)

إذا الطاسَاتُ كرَّتها علينـا تكوّن بيننا فلـك يــدورُ

تسيرُ نجومه عجَلاً وريْثاً مشرِّقة وتاراتٍ تغُــورُ

ويظهر اللون مكانة محبوبته بين النساء، فهي كالقمر بين النجوم، إذ يقول: (الديوان،ص٤٩٠)

قمــرٌ بيْـن نجـــوم ناصـبٌ في الصَّـدْرِ حُقـا

اللّون الأخضر:

لم يظهر اللون الأخضر في شعر الشاعر على نحو صريح، بل وردت بعض الإشارات التي تشير إلى اللون الأخضر، ولم يذكره كثيراً في شعره، ودلالاته هذا اللون دلالات بسيطة وغير بعيدة، ومن صوره التي تشير إلى اللون الأخضر، إذ يقول في مدح الأمين: (الديوان،ص٤١١)

بــدر الأنـــام محمَّـــدٌ أخـذ المكـــارمَ باليميـن

وابنُ الخلائف، والذي سبقت به طيب الغصون

فممدوحه كالغصن في شجرة الخلافة، وصورة الغصن توحي باللون الأخضر والرموز التي يشير إليها هذا اللون؛ ففيه الشباب والحيوية والنضارة والتجدد والجمال. ويعد اللون الأخضر من أكثر الألوان وضوحا واستقرارا في دلالته، وهو من الألوان المحببة " لارتباطه بأشياء مهمة في الطبيعة أصلا، كالنبات والأحجار الكريمة، ثم جاءت المعتقدات الدينية وغذت هذا الاعتقاد لارتباطه بالخصب والشباب وهما مبعث فرحة الإنسان"(عمر، وهو قرين الشجرة رمز الحياة والتجدد، علاوة على ارتباطه بالحقول والحدائق وهدوء الأعصاب.

وظهر اللون الأخضر في بعض الأعياد الفارسية وهو عيد اليروز وهو عيد الربيع عند الفرس وفي هذا العيد تظهر معظم الألوان وخاصة ألوان الأزهار والورود والرياحين، ولكنّ شاعرنا لم يتوقف في موضوع المديح عند الرياض والبساتين وما فيهما من أزهار وورود ، بل أشار إلى عيد النيروز، إذ يقول في مدح الأمين: (الديوان،ص٤٨٣)

فتى يوماه لي فِطرٌ وأضحى ونيــرورٌ يُعَــدُّ ومِهْرَجــانُ

ومن صوره اللونية الخضراء، تظهر صورة الوشم، والوشم: هو غرز الإبرة في البدن وذر النيلج عليه، فيكون أخضر اللون ثابتا بالبشرة، وهي صورة لونية لا تحمل دلالات أو إشارات، إذ يقول: (الديوان،ص٤٣٩)

منهـنَّ توشيـم الجـدَرْ رَعَيـْنَ أبْكـارَ الحُضَـرْ

ويظهر اللون الأخضر في تصويره للنبات، فحينما تنمو سيقان النبات تكتسي بالأزهار اليانعة المحملة بحبات الندى، إذ يقول: (الديوان،ص٤٩٩)

قد اكتسى العود في الثرى خلعا من يانع الزهر والندى الشبم

وبرز اللون الأخضر في تصويره لبستان يانع الشجر وقد نضج ثمره، إذ يقول: (الديوان،ص٤٧٥)

كـأن لديــهِ جنـــة بابليّـــة دعا يَنعُها الجُدَّاءَ منها إلى الجنى

ويشير إلى اللون الأخضر حينما يشبه ممدوحه بالجنة، إذ يقول: (الديوان،ص٤٤٦)

يرجو ويخشى حالتيك الورى كأنك الجنـــة والنـــارُ

ويشير في هذه الصور إلى كرم وعطاء الممدوح، فصاحب البستان يعطي الآخريين من ثمار بستانه، وممدوحه يعطي طالبي عطائه.

ولم يظهر اللون الأخضر في شعره إلا نادرا. وما ورد في اللون الأخضر لا يحمل أي دلالة أو إشارة.

اللّون الأزرق:

وورد ذكر اللون الأزرق في شعره، ويشير في هذا اللون إلى لون السماء الصافية، وصور السّراب الذي يرى في الصحراء، وكأن فيه ماء لونه أزرق،وهي صورة وهميّة ، وصور السلاح أحيانا ووصف لونه بالأزرق.

فصور السّراب الذي يظهر في الصحراء أثناء سفره، والسّراب صورة لونية ضوئية فيها اللون الأزرق واللمعان، إذ يقول: (الديوان،ص٤٤١)

شبْهاً إذا الآل مَهرْ إليك كلفنا السفرْ

ويظهر اللون الأزرق في صورة السراب أثناء أسفاره حينما يقطع على راحلته الصحراء، وتتزاحم أحيانا في شعره الصور المستمدة من الطبيعة، فنلحظه يورد صورا عدة في البيت الواحد، إذ يقول: (الديوان،ص٤٩٤)

وبعِرْمسٍ أمُّها الشَّمَالُ، وتعْـ ـتدُّ بصهْـرٍ في البرق لا ينكلْ

فاجتاز هذه المفازة البعيدة، وما استوى من الأرض التي ظهر فيها السّراب، بناقته القوية الصلبة، مشبهاً سرعة ناقته بسرعة البرق.

ومن صوره الزرقاء اللون القليلة العدد صورة البحر، وظهرت في مديحه، ، إذ يقول: (الديوان،ص٤٩٧)

وتحــتَ رجلــيَ بحــرٌ يجْــرِي الهـوى بمُــدودِهْ

ويقول: (الديوان،ص٤٧٦)

فإذا ما وردتْ بحر أبي الفضـ ـل نفضت النحوس عن أثوابي

وتشير صورة البحر إلى التفاؤل بكرم الممدوح.

وظهرت صورة السّماء الزرقاء في أشعاره، ولا تحمل إشارات أو رموز، إذ يقول: (الديوان،ص٤٧٦)

لا..وبهْرامُ يسْتقِلُّ سماء الــ غَرْبِ واللّيْلُ زائدُ في الحسابِ

ومنها صورة الطيور السريعة التي تطير في السّماء الزرقاء، وشبه بها مركب الأمين السريعة، إذ يقول: (الديوان،ص٤١٤)

تسْبقُ الطيرَ في السَّماءِ إذا ما اسـ ـتعْجَلُوها بجيئةٍ وذهابِ

(الديوان،ص٤٦٩٩)

يغبك معروف السَّماء وكفه تجود بسح العرف كلّ أوانِ

وتظهر صورة نهر النيل في شعره بعدما زار مصر، ويربط بين ماء النهر وكرم الممدوح،ويشير إلى كثرة عطائه، إذ يقول: (الديوان،ص٤٩٢)

ما ترى النّيلَيْن إلا من ندى كفّيكَ شِقّا

وهذه هي الألوان التي ظهرت في مدائحه، وقد قام الباحث باستقصاء صوره اللونيّة ومجموعها، ومجموع كل لون، وقد جاءت على النحو الآتي:

اسم اللّون	النسبة المئوية
١- الأبيض والأسود.	**٦٣%**
٢- الأحمر.	**١٤%**
٣- الأصفر.	**١٣%**
٤- الأخضر.	**٥%**
٥- الأزرق.	**٤%**

أما موضوعات هذه الألوان، فارتبطت بالممدوح جميعها، وبخاصة اللون الأبيض والصورة الضوئية الملازمة لهذا اللون فتكرر في شعره صورة النور والبهاء والبياض، وعكس ذلك كله على ممدوحه، بل إنه يبالغ أحياناً من حيث إنّ نور ممدوحه يفوق نور الشمس والقمر والبدر. وقد أشار إلى وسامة الممدوح وعلو مكانته وشرفه ونسبه الرفيع.

واللون الأحمر ارتبط ارتباطاً مباشراً بالممدوح ويشير إلى صفات التي يتحلى بها ممدوحه وهي: القوة، والشجاعة، والبأس الشديد ،وقضائه على الفتن والاضطرابات والثورات، وإعادة الأمن للحياة الاجتماعية والسياسية.

واللون الأصفر ارتبط بالممدوح وبيان كرمه وسخائه في العطاء، وبيان منزلته وعلوّها.

واللون الأخضر والأزرق ارتبطا بالممدوح وصفاته، ومنها كرم الأصل، والكرم في العطاء.

الخاتمة:

توصل الباحث من خلال دراسته للصورة اللونية في مدائح أبي نواس إلى النتائج الآتية:

١- شغل اللون الأبيض واللون الأسود المساحة العريضة من صور الشاعر اللونية، إذ بلغت النسبة المئوية لهذه الصور ٦٣ % من المجموع العام لصوره اللونية، ووردت جميعها في مدح الممدوح.

٢- وشغل اللون الأحمر نسبة معقولة؛ إذ بلغت ١٤ % من مجموع صوره اللونية، وجاءت في معظمها في مدح الممدوح.

٣- شغل اللون الأصفر نسبة ١٣ % من مجموع صوره اللونيّة، وكانت في مدح الممدوح.

٤- شغل اللون الأخضر نسبة ٥ % من مجموع صوره اللونيّة، ولم يهتمَّ الشاعر بهذا اللون، فلا يوجد في مدائحه وصف للرياض، أو البساتين، أو الحدائق، أو الأزهار، أو الرياحين.

٥- شغل اللون الأزرق نسبة ٤ % من مجموع صورع اللونية، ولم يظهر هذا اللون إلا في صورة السماء، والسّراب، والبحر.

٦- ربط الشاعر بين اللون وصفات الممدوح، فالشاعر وظف اللون توظيفاً جيداً في النص الشعري ، ولم يأتِ عبثاً أو للزينة، وإنما جاء منسجماً مع البنية التركيبية للنص الشعري.

٧- إشارات اللون ودلالاته في شعر الشاعر كانت قريبة في معناها ولم تكن بعيدة كما هو الحال في الشعر المعاصر المثقل بالرموز والإشارات البعيدة، فإشارات ألوانه قريبة سهلة، وجزء كبير منها صور لونيّة تقليديّة متوارثة من الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي.

٨- استمد الشاعر ألوانه المتعلقة بموضوع المدح من الطبيعة، فردد كثيرا الشمس، والقمر، والبدر، والنجوم، والسماء، وسنا البرق، والدم، والسّراب.

٩- استخدم الشاعر اللون باسمه الصريح، والأسماء غير الصريحة المتعلقة باللون نفسه، فاستخدم للون الأبيض ألفاظا كثيرة تدل على اللون الأبيض.

١٠- عبّر اللون أحياناً عن الحالة النفسيّة التي يعيشها الشاعر أو الممدوح.

١١- كانت صوره اللونية طبيعية غير متكلفة تمتاز بالجمال الطبيعي، فلم يثقل الشاعر شعره بألوان تأتي للزيادة أو الزخرفة، بل ربطها بوظيفتها في نصّه الشّعري؛ ولذلك فإنها تمتاز بالجمال الفني الرفيع.

Abstract

The Chromatic Image in the Panegyric Poetry of Abu Nawwas: An Analytic Study by Eid Hamad Al-Khraisheh

Color is an important element in the artistic building of the artful image, as it holds aesthetic properties, and the artful vision-related connotations. Most often, the color reveals the senses, feelings and thoughts of the poet, who embodies all these through color. If he is in a state of happiness and pleasure, then he chooses colors implying happiness and pleasure. On the contrary, if he is in a state of sadness and depression, then he chooses colors indicating these circumstances. As such, color is one of the elements the researcher relied on in detecting the personality of the poet, his mood, and the ideas he holds in his mind. The poet, by means of color, can establish a relationship between him and the reader, because these colors hold implications and symbols, and these implications and symbols, in turn, differ among the communities, and even differ from one historical era to another. Furthermore, these connotations may be artistic, religious, psychological, social or figurative. When colors emerge in the literary text, they fascinate the reader with their beauty and influence. Then reader starts to search about the indication of the color, and he/she understands the implication of the color through the context of the poetic text; as the context defines the function and effectiveness of the color.

The researcher selected this topic because the chromatic image is one of the pillars and even the foundations of the poetic experience, and color has its vast effect and influence in depicting the artistic image. Therefore, the chromatic image is the finest in the world of poetry. The chromatic depiction is sensory, and it is expected that the color will appear in the artistic performance process, to perform its role in conveying the impressive significance. Due to the significance of the depiction through color, the holy Quaran is full of the chromatic imaging.

The reason the researcher limited the research topic to the panegyric poetry of the poet (Abu Nawwas), is that we are in front of a giant poet, one of the great poets of the Abbasid era, whose collection of poetry is so sizeable, with multiple poetic themes. Therefore, the researcher chose the panegyric poetry to make the topic specific, that best matches the space of the research itself.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن منظور، أخبار أبي نواس، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٩م.
- ابن منظور، لسان العرب، ط الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، د.ت.
- إسماعيل، عز الدين، التفسير النفسي للأدب، ط دار العودة، ط٤،بيروت،١٩٦٣.
- الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٥٤م.
- الجبار،مدحت، الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي، ط الجبار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، د.ت.
- الجبوري،حمد محمد فتحي،التوظيف الفني للون في الشعر العربي(السّري الرّفاء نموذجاً)، ط دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٦م.
- الجرجاني، عبد القاهر،أسرار البلاغة، تحقيق سيد محمد رشيد رضا، ط دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢م.
- حمو دة، يحيى، نظرية اللون، ط دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٩م.
- حيدر، كاظم، التخطيط والألوان، ط مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٤م.
- الدروبي، سامي، علم النفس والأدب، ط دار المعارف بمصر، ط٢،القاهرة، ١٩٨١م.
- الدهان، سامي، المديح، ط دار المعارف بمصر، ط٥، القاهرة، ١٩٩٢م.
- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ،حققه،وضبطه،وشرحه احمد عبد المجيد الغزالي،الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
- الربضي،إنصاف،علم الجمال بين الفلسفة والإبداع،دار الفكر، عمان،الأردن، ١٩٩٥م.
- الزواهرة، ظاهر محمد هزاع،اللون ودلالاته في الشعر،ط دار حامد للنشر،عمان، الأردن، ٢٠٠٨م.
- السامرائي، علي إسماعيل، اللون ودلالته الموضوعية والفنية في الشعر الأندلسي،دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١،٢٠١٣م.
- شكري،عبد الوهاب،الإضاءة والمسرحية،ط الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م.
- ضيف،شوقي،تاريخ الأدب العربي/العصر العباسي الأول،ط دار المعارف بمصر،ط٤، القاهرة، ١٩٧٢م.
- عبيد، محمد صابر،جماليات القصيدة العربية الحديثة، ط١، دمشق، ٢٠٠٥م.
- العسكري، أبو هلال،الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ط دار إحياء الكتب العربية، ط عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٥٢م.
- علي،إبراهيم محمد، اللون في الشعر العربي قبل الإسلام،طرابلس،لبنان، ط١،٢٠٠١م.
- عمر، أحمد مختار، اللغة واللون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة،ط١٩٨٢،١م.
- القيرواني،ابن رشيق، العمدة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤، ط دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢م.
- نوفل، يوسف حسن،الصورة الشعرية والرمز اللوني،ط دار المعارف بمصر، القاهرة،١٩٩٥م.
- همام، محمد يوسف،اللون، ط مطبعة الاعتماد،ط١،القاهرة،١٩٣٠م.